

المحاضرة الحادي عشر

فلسفة التاريخ

اعداد / م.د امينة عبد الكريم عبد

الستار

## التفسير الاسلامي للتاريخ

### التفسير الإسلامي

أما التفسير الإسلامي للتاريخ فيعد التفسير العلمي القائم على البرهان والدليل وكذلك التأكيد على العبرة والدرس من أحداث التاريخ الذي يسير وفق منهج وناموس إلهي عميق مع التأكيد على حرية الإنسان وإرادته التي تجعل منه مسئولاً عن جميع أفعاله في الدنيا والآخرة.

وهو يؤكد على وجود الإله الحكيم المسيطر على كل شيء والموجه لكل شيء فهو المهيمن ولكن ليس بظلام للعبيد وبالتالي رغم هيمنته ترك للإنسان النجدين (أي الطريقتين، طريق الخير وطريق الغي) وعليه الاختيار.

ووفقاً لهذا التفسير تصبح للحياة معنى وهدف والتاريخ يصبح شاهداً والقضاء والقدر ذاتها لم تقف عائقاً ولا هي تحول دون إبراز نشاط الإنسان، والتاريخ شاهد أمين على صدق هذا القول في كثير من الحالات، فقد كان المسلمون يعرفون أن الله سبحانه وتعالى قد قدر كل شيء في سابق علمه ومن الأزل، وإن ما قدر يكون، مع هذا اندفعوا لتحطيم الفرس والروم في فترة لا

مثيل لها في القصر، وبذلوا جهداً خارقاً في سبيل نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية حيثما استطاعوا، وانصرفوا يجرون ورائهم رزقهم ومعاشهم وأمورهم الدنيوية، لأنهم كانوا يدركون في نفس الوقت أن لكل امرئ ما سعى وإن السماء لا تمطر ذهباً أو فضة.

التفسير الديني لخط سير التاريخ أو حركة التاريخ كما هو في الإسلام:

إن خط سير التاريخ عند المسلمين يبدأ منذ أن خلق الله آدم عليه السلام . قال تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } . فغاية خلق الإنسان ؛ العبادة ثم الخلافة في الأرض . قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ . }

وحتى يصبح للوجود الإنساني معناه قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } . وقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } وقوله تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } . إن التفسيرات الوضعية للتاريخ انحرفت في الفكر والتصور عن الإنسان وخلقته ومقصد وجوده وحقيقة الربوبية والألوهية ( ضلت وأضلت ) ؛ لأنها تهرف بما لا تعرف، فأخذت ترحم بالغيب وتتخبط في الظنون والأوهام بعيدة عن الوحي. فكتابات المؤرخ ( ويلز ) صاحب كتاب (معالم تاريخ الإنسانية) عندما يتكلم عن أصل الإنسان ومراحلها ، يبحث في القرده وأشباه الإنسان والانسان الحجري والجليدي ، معتمداً في ذلك على الأحافير والهيكل تاركاً الوحي الرباني. إن التفسير الإسلامي للتاريخ ينظر إلى أن حركة التاريخ تجري بقدر ووفق سنة الله التي أجراها في الخلق والحياة والكون ، وتحقيق السنن الربانية مرتبة على سلوك البشر في الحياة الدنيا ومدى استحابتهم للأوامر والنواهي الشرعية .

تعد إشكالية التفسير أهم مقومات دراسة التاريخ، إذا تتعلق بالكشف عن الأسباب والعلل التي تحرك الأحداث والوقائع، وتحولها إلى مقومات تتضمن

الأحكام العامة. وتتفاوت قيمة إنجازات المؤرخين في هذا الصدد، فيكتفي البعض بتحقيق الروايات لإثبات مصدقية الحدث ليس إلا، ودون ولوج باب التفسير أو حتى التعليل. ولا غرو، فقد ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن التحقيق هو غاية المؤرخ، أما التفسير فيعكس رؤية المؤرخ الخاصة، بما يسهم في تضييب الأحداث والوقائع، ويزيد في غموض الحقائق الموضوعية بإضافة "عندياته" التي تحتل الصواب أو الخطأ. على أن الاتجاه يفت في قيمة عمل المؤرخ، لأن علماء بلا تعليل أو تفسير، إنما هو علم ناقص. عندئذ يتحول المؤرخ إلى "إخباري" يقتصر دوره على جمع الروايات وتدوينها. ويترك المجال لغير المتخصصين لتفسير الأخبار، بما يثير البلبلة والتخبط. وعندنا أن التعليل والتفسير أمر لازم لكي يكون المؤرخ بحق مؤرخاً، فلا علم بلا سببية. بل إن مهمة العلم الأولى هي استكناه العلل والأسباب التي تكشف عن الحقيقة. وإذا كان التعليل تعبيراً عن رأي المؤرخ، فيعبر التفسير عن رؤيته. وقد تعدد الآراء وتتنوع الرؤى حسب درجة ثقافة المؤرخ، فيعبر التفسير عن رؤيته. وقد تعدد الآراء وتتنوع الرؤى حسب درجة ثقافة المؤرخ ووضعيته الطبقية ومعتقداته الدينية والمذهبية وأيديولوجيته السياسية.

ولعل هذا يفسر تعدد الآراء وتتنوع الرؤى بصدد دراسة وتثمين حقبة تاريخية معينة، أو حتى بالنسبة لحدث تاريخي عظيم الشأن. ومع ذلك، فلا مندوحة عن ولوج باب التفسير حتى يكتمل دور المؤرخ، وتتكامل مهنته ورسالته، وهو أمر جد عسير، لارتباطه بقدرة المؤرخ وتميزه لا لشيء إلا لأن المهمة تدخل في إطار "فلسفة التاريخ".